

التّغليب في الشّعْر النَّابِغَةِ الجَعْدِيّ نُموذَجًا

أستاذ مساعد عبير فهد الغويري

جامعة شقراء كلية العلوم والدراسات الإنسانية

predominance in poetry

Al-Nabigha Al-Jaadi is a model

يتناول البحث مصطلح التغليب، وما قيل فيه عند النقاد القدماء، واختلافهم في ضبطه، وعدة من غلب من الشعراء، ثم يُخصّص الحديث عن النابغة الجعدي، وما كان من غلبة الشعراء عليه، فيتناولها من حيث غرض الهجاء في شعره، وما اتّصل به من الفخر والحماسة، فيخصّ شعره الذي هاجى به من غلب عليه، فيجمع هؤلاء على صعيد واحد، فضلاً عن جمع الشعر الذي غلب به غيره عليه ممن هم دونه في الشاعرية، وشعره فيهم، فيبحث في سبب الهجاء بينهما، ويدرس الشعر الذي يُغلب به الخصم إن وجد، حتى يُقطع له بالنصر عليه، ومدى التزام النقاد بمبدأ واحد في الحكم بالغلبة. كلمات مفتاحية: التغليب، الشاعر المغلب، النابغة الجعدي، ليلي الأخيلية

Summary

The research deals with the term “predominance” and what was said about it by the ancient critics, and their differences in it, and several of the poets who were overpowered. Then he singles out the talk about Al-Nabigha Al-Jaadi, and what was the predominance of poets over him, and deals with it in terms of the purpose of satire in his poetry, and the pride and enthusiasm connected to it, he singles out his poetry with which he has spoken against those who have been overcome, so he collects these on one level, in addition to collecting the poetry with which others have prevailed over him from those who are below him in Poetry, and his poetry in them, so he studies the reason for the difference between the two, and discusses the reason for the spelling, He studies the poetry with which the opponent is defeated, He was definitively victorious over him, and the extent to which critics adhere to a single principle in ruling over victory.

Keywords: Taghleeb - the defeated poet - Al-Nabigha Al-Jaadi - Laila Al-Akhiliya

المقدمة:

شاعت في النقد العربي القديم مصطلحات كثيرة، من بينها مصطلح التغليب، أو الشاعر المغلب، وهو يشير إلى غلبة من هم دون الشاعر عليه، وقد برز هذا المصطلح صفةً لشعراء عدّة، إذ لكل شاعر مذهبه في الشعر، وهو ما يبنني غالباً على موقفه من الحياة؛ فشعره تمثيل لهذا المذهب في صورة فنيّة مرّمة، قد يصرح فيها بمكنوناته، فيبتعد عن الشعرية بقدر اقترابه من التصريح؛ وينبني على ذلك أيضاً أن يُوسم بسمة ما، تكون مأخوذة من شعره، وهي ليست (لقباً) انتزع من بيت شعر قاله، أو من قصّة حدثت معه، ولكنها سمة تؤخذ من أطرافها عنده، واصطبغ شعره بها، وسيطرتها على نتاجه إذا ما خاض غمار فنّ ما. وهذه السمة كما سنجدها عند النابغة الجعدي هي الانهزام، والتقهقر، والانكسار، أمام كل من واجهه في فنّ الهجاء، فلا يكاد يثبت أمام خصم، فليس له نفس طويل في المقارعة، سرعان ما يجبن ويذل أمام مهاجيه، ولعل هذا الذي دفع النقاد إلى وسمة بأنه شاعر مغلب، وهذا ما دفعهم إلى تغليب غيره عليه وإن لم يكن في أخبار المهاجاة ما يمكن أن ينص صراحة على هزيمته، وهذا – الغلبة المتكررة – ما قد يكون دافع كثير من الشعراء للتعرض له ومهاجاته. وانطلاقاً من هذه السمة كان البحث في مصطلح الشاعر المغلب استناداً إلى ما كان من خصومة النابغة الجعدي مع من غلب عليه، فيسعى البحث للإجابة عن تساؤلات عدّة، منها: ما الذي كان عليه النقاد في مصطلح التغليب؟ ومن هم الشعراء المغلوبون؟ ومن الذين غلبوا على النابغة الجعدي؟ وما مدى صحة ما حكّم به النقاد من تغليب الشعراء الجعدي؟ وهل كان الحكم مستنداً إلى الشعر حقيقة أم إلى غير ذلك؟ وهل كان لسبب الخصومة أثر في ضعف دفاع الشاعر عن نفسه؟

المغلب لغة واصطلاحاً:

لا يختلف معنى المغلب بين اللغة والاصطلاح كثيراً؛ فقد جاء في الصحاح: "غلبه غلبته وغلباً، وغلباً أيضاً. قال الله تعالى: ﴿وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ [الروم: ٣]؛ وغالبته مغالبته وغلباً، وتغلب على بلد كذا: استولى عليه قهراً، وغلبته أنا عليه تغليباً؛ والغلب: الكثير الغلبة. والمغلب: المغلوب مراراً" (الفارابي، ١٩٨٧، (غلب))؛ فبرغم اختلاف صيغ الجذر يبقى المعنى الأساسي قائماً، وهو المعنى القائم في الاصطلاح أيضاً؛ إذ تُجمع المصادر التي عرفت بالمغلبين، أو أشارت إلى معنى قولهم (مغلب)، على معنى الجذر في اللغة، بل إن أصحاب المعاجم أنفسهم يعرجون على هذا المعنى الاصطلاح في مادة (غلب)، يقول ابن منظور: "والمغلب من الشعراء: المحكوم له بالغلبة على قزبه، كأنه غلب عليه؛ وفي الحديث: أهل الجنة الضعفاء المغلوبون؛ المغلب: الذي يُغلب كثيراً، وشاعر مغلب أي كثيراً ما يُغلب؛ والمغلب أيضاً: الذي يُحكّم له بالغلبة، والمراد الأول" (الزبيدي، د. ت، واللسان، ١٤١٤، (غلب)). والملاحظ في تعريف المعجمات إشارتها إلى أن لفظ (المغلب) من الأضداد، وأنه يُوسم به كل من الغالب والمغلوب، وإن زاد ابن منظور أن المراد في أكثر الأحيان المعنى الأول، وهو المغلوب؛ غير أن المعجمين – اللسان والتاج – يوضّحان الفرق بعبارة ابن سلام الجمحي التي كانت معيارهم في بيان صفة الغالب والمغلوب، أو مُسماهما؛

يقول ابن سلام: "وَإِذَا قَالَتِ الْعَرَبُ: مَغْلَبٌ، فَهُوَ مَغْلُوبٌ، وَإِذَا قَالُوا: غُلِبَ: فَهُوَ غَالِبٌ" (الجمحي، د.ت، ١٢٥/١، وانظر: الزبيدي، د. ت، واللسان، ١٤١٤، (غلب))، وجلي أن ابن سلام يوافق ابن منظور والزبيدي، وهو أسبق منهما، في أن الكلمة (المغلب) من الأضداد؛ لذا فرّق بين الغالب والمغلوب بصيغتين: إحداهما اسم، والأخرى فعل، وخصّ المغلوب بصفة (المغلب)، وخصّ الغالب بالفعل: (غلب). ومن تعريفات مصطلح (المغلب) قول أبي عبيدة: "فهؤلاء المغلوبون كانوا يجيئون فيغلبهم من ليس مثلهم في عظم الشعر" (أبو عبيدة، د. ت، ص ١٢)، وقول ابن رشيقي: "ومعنى المغلب: الذي لا يزال مغلوباً" (ابن رشيقي، ١٩٨١، ص ١٠٦/١)، وتعريف جواد علي في المفصل: "ومن الشعراء من كان لا يستطيع الوقوف أمام خصمه، فيغلب" (علي، ٢٠٠١، ص ٩٩/١٧)؛ ومؤداها واحد، لكنّ الفرق البين بينها الإشارة إلى أن الغالب دون مستوى شاعريّة المغلوب، ففي تعريف أبي عبيدة إشارة واضحة إلى ذلك، وهذا ما رمى إليه ابن زُرَيْد في الاشتقاق (ابن دريد، ١٩٩١، ص ٢٥)٢، فضلاً عن التصريح بدونية من غلب النابغة الجعدي من الشعراء الذين هاجمهم، وردوا عليه. ولا يخرج البحث على ما ذكره ابن سلام وتابعه فيه الأزهرى وابن منظور والزبيدي؛ إذ سنطلق على المغلوب اسم (المغلب)، وسنصف الغالب بالفعل (غلب)، أما فيما يتعلق بشاعريّة المغلوب والغالب، فالمستفاد مما ورد في المصادر أن المغلوب دائماً ما يكون فوق الغالب شاعريّة وأهميّة، على الأقلّ في زمن غلبته عليه.

النابغة الجعدي المغلب ومن غلب عليه:

تجعل بعض المصادر المغلبيين ثلاثة لا غير، هم النابغة الجعدي، وتميم بن أبي بن مقبل (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٨٧/٢)، وقد غلب عليه النجاشي الشاعر (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢٠٦/٥)، والرّاعي النُميري (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ١٨٨/٤ - ١٨٩)، وقد غلب عليه جرير (أبو عبيدة، د. ت، ص ١٢)، في حين نراه في العمدة أكثر من ذلك، وإن كان في بعض من غلبهم شاعريّة أكبر من شاعريّة المغلب، فيجمع إليهم الزبيرقان بن بدر (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٤١/٣)، وقد غلب عليه عمرو بن الأهتم (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٧٨/٥) والمخبل السعدي (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ١٥/٣)، والحطيئة (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ١١٨/٢)، ومنهم النعبيّ المجاشعي (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٣٠٢/٢)، وقد غلب عليه حماد عجرد (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢٧٢/٢)، ومنهم علي بن الجهم (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢٦٩/٤ - ٢٧٠)، وقد غلب عليه أبو السّمط مروان بن أبي الجنوب (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢٠٩/٧)، ومن أشهرهم أبو تمام الذي غلب عليه عبد الصمد بن المعدل (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ١١/٤)، ودعبل بن عليّ الخزاعي (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٣٣٩/٢) ولا يلزم أن يكون ابن رشيقي محقاً في أحكامه بغلبة، وقد اقتصر في حديثه عن أبي تمام على عبارة: (وقد تناول عليه..). (ابن رشيقي، ١٩٨١، ص ١٠٦/١ - ١٠٨). والبحث يختص بالكلام على النابغة الجعدي، وهو عبد الله بن قيس، أو قيس بن عبد الله، وكنيته أبو ليلي، وهو جاهلي، وقد قيل: إنه أقدم من النابغة الذبياني، وكان ممن جاؤوا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، ومدحه، فدعا له النبي، وقد عمّر حتى أدرك ابن الزبير، ومات بأصفهان، وهو ابن مئتين وعشرين سنة، وقيل: مئة وعشرين سنة، ومما قاله العلماء في شعره: فيه خمائر بواف، ومطرف بالآف (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ، ص ٢٨٠/١، وانظر حياته في ابن قانع، ١٤١٨، ص ٣٤٥/٢، والأصبهاني، ١٩٩٢، ص ٢٧٣/١، والمرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٥، والمرزباني، ١٩٨٢، ص ٣٢١، والنهرواني، ٢٠٠٥، ص ٦٧٤/١، والقرطبي ١٩٩٢، ص ١٥١٤/٤، وابن الأثير، ١٩٨٩، ص ١٣٥/٤، والذهبي، ١٩٨٥، ص ١٧٧/٣، والعسقلاني، ١٤١٥هـ، ص ٣٠٨/٦)٣، أي: فيه الغنث والسمن، وقال فيه الأصمعي: "قال أبو حاتم: قال الشعر وهو ابن ثلاثين سنة. ثم أجم ثلاثين سنة، ثم نبغ فقال ثلاثين سنة" (الأصمعي، ١٩٨٠، ص ١٩) وتكرّر العبارة التي تشير إلى أنه مغلب عند كل من ترجم له، فيقولون: (وكان مغلباً، وهو من المغلبيين، وهو أحد المغلبيين، وغلب عليه...); وقد غلب على الجعدي ليلي الأخيلية، وأوس بن مغراء العقيلي، وكعب بن جعيل، وعقال بن خالد العقيلي، وسوار بن أوفى القشيري، والأخطل؛ يقول ابن عاصم النُميري: "وقال عمر بن شبة: كان النابغة الجعدي شاعراً مغلباً، إلا أنه كان إذا هاجى غلب، هاجى أوس بن مغراء، وليلي الأخيلية، وكعب بن جعيل، فغلبوه، وهو أشعر منهم مراراً، ليس فيهم من يقرب منه" (القرطبي، ١٩٩٢، ص ١٥١٨/٤)، وممن صرح ابن سلام بدونيته عن الجعدي، أيضاً، عقال العقيلي، فقال في حديثه عن الجعدي: "وغلب عليه عقال بن خالد العقيلي، وكان مفجماً بكلام لا يشعر" (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١)، وكذا فعل به الأخطل (المعري، ١٩٨٤، ص ٥٦٣)، أما سوار بن أوفى القشيري، فإن في تغليب عليه النابغة نظراً؛ وفيما يأتي تفصيل تغليب كل منهم على النابغة الجعدي، ودراسة شعر من كان له شعر في هذه الغلبة:

١- ليلي الأخيلية وسوار بن أوفى القشيري:

وهو سوار بن أوفى بن سيرة بن سلمة بن قشير بن كعب القشيري، مخضرم، كان يهاجي النابغة، وهو زوج ليلي الأخيلية (العسقلاني، ١٤١٥هـ، ص ٢١٩/٣، والبغدادي، ١٩٩٧، ص ٢٤٥/٦)، ترتبط المهاجاة التي غلبت فيها ليلي الأخيلية على الجعدي بتغليب سواراً عليه، وإن

كان يُشكك في أنّ سواراً غُلبَ بنفسه على الجعديّ؛ إذ لم يكن في شعره ما يمكن أن يُفخّم به الجعديّ، ولو كان ذلك صحيحاً لما استدعى الأمر تدخّل ليلي الأخيلية في المهاجاة بينهما؛ إذ كان الأمر محسوماً لصالح القشيريّ. أمّا سوار فلم يظهر أنّه غُلبَ صراحةً على النابغة الجعديّ، بل يدلّ تدخّل ليلي لصالحه على أنّه كان مغلباً لا غالباً، وربّما كان تغليبُه على الجعديّ من باب تطاوله عليه لا غير، ولم أجد للقشيريّ شيئاً في الجعديّ سوى ما فخر به من قيام بعض قومه بني قشيرٍ بمساعدة رجل جعديّ، كاذ يهلك في الصحراء، فأدركوه، وسقوه لبناً وماءً، فعاش، فقال القشيريّ مفتخراً في غير شعر: "ومنا ناشد رجله، ومنا الذي أسر حاجباً، ومنا الذي سقى اللبن" (الأصمعي، ١٩٨٠، ص ١١، وانظر العسقلاني، ١٤١٥هـ، ١٥٩/٢)، فردّ عليه النابغة الجعديّ، فقال (النابغة الجعدي، ١٩٩٨، ص ١٢٨):

جَهَلْتُ عَلِيَّ ابْنَ الْحَيَا وَظَلَمْتَنِي
وَجَمَعْتُ قَوْلًا جَاءَ بَيْنًا مُضَلَّلًا
عَدَدْتُ قُشَيْرًا إِذْ فَخَرْتُ فَلَمْ أَسْأ
بِذَلِكَ وَلَمْ أَرْمَعِكَ عَن ذَاكَ مَعْرَلًا

فهو لا ينكر ما لقومه القشيريّين، ولا يسوءه فخره بهم، فقشيرٌ أختُ جعدة، وكتلتاهما من بني عامرٍ، ثمّ يعيدُ الجعديّ مآثر قومه، مفتخراً بما كان لهم من سوابق؛ وقال في قصيدةٍ أخرى يردُّ على ما افتخر به سوارٌ من مساعدة قشيرٍ الرّجل الجعديّ (النابغة الجعدي، ١٩٩٨، ص ١٢٦ - ١٢٧):

نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمِي رَحْرَحَانَ وَقَدْ
طَنَنْتُ هَوَازُنَ أَنَّ الْعِرَّ قَدْ زَالَا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قُعْبَانَ مِنْ لَبِنٍ
شِيْبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالَا

وهو يهون من أمر إدراكهم الرّجل الجعديّ، ويرى أفعال قومه ممّا يستحقّ أن يُفتخَرَ به، لا كأسى اللبنة اللتين أدركوا بهما الرّجل الجعديّ، كيومي رحرحان، فهي المكارم لا غير، فنقّض بها ما جاء به القشيريّ. ونحن لا نكاد نجد ممّا هجا به سوارٌ الجعديّ شيئاً في بطون الأدب سوى ما تذكرُه من هجائه إياه (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١، والمرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٦، وابن رشيق، ١٩٨١، ص ١٠٦/١، وابن العديم، د. ت، ٣٠٠٦/٦)، وما تدلّ عليه ردودُ الجعديّ عليه، ولا يمكن بأيّ حال موازنة شعر الجعديّ بكلام سوارٍ، للوصول إلى الأشعرٍ منهما؛ غير أنّ في شعر الأوّل منهما ما يقطعُ بأنّه غُلبَ بشعر الأخيلية، لا بكلام سوارٍ، ولا سيّما أنّ الجعديّ في شعره الذي ردّ به لا يستاء من فخر سوارٍ بقومه، فهم يخصّون الجعديّ أيضاً، ولا يرى غضاضةً في ذلك، فمجدهما واحدٌ، وفخرهما واحدٌ، كنصرهم يوم رحرحان، وهو ما يستحقّ أن يُفتخَرَ به، لا هذه الأمور الصّغيرة التي لا تكاد تُذكر، كإفقادهم الجعديّ. أمّا ليلي الأخيلية فتتعدّد الروايات في سبب تدخّلها في الهجاء بينهما، فمنها ما يربطُ السبب بحكم ليلي بأفضلية العجير السلولي (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢١٧/٤) على الجعديّ وحُميد بن ثور (الزركلي، ٢٠٠٢، ص ٢٨٣/٢) الهلاليّ وتميم بن أبي بن مقبل العجلانيّ، وهذا ما ذهب إليه المرزبانيّ، وقد أشار إشارةً سريعةً إلى ما كان من افتخار الجعديّ بيومي رحرحان (المرزباني، ١٩٩٥، ص ٢٥)، وهذا الأخير كان السبب الذي ذهب إليه القيسي (القيسي، ١٩٨٧، ص ٤٣٠/١)، وقريب من هذا ما ذهب إليه العامليّ، فقد ذكر أنّ السبب في تدخّل ليلي هو القصيدة الفاضحة التي قالها الجعديّ في عقيل وقشير قوم سوارٍ، وقد غصّ فيها من فخرهم بأنهم سقوا رجلاً من بني جعدة لبناً وماءً (العاملي، ١٣١٢، ص ٤٧٥)، وأشار الغندجانيّ إلى أنّ النابغة الجعديّ هو من تعرّض لها بعد أن مدحت قشيراً قوم سوارٍ (الغندجاني، د. ت، ص ١٥٠ - ١٥١)، ويذكر ابن قتيبة أنّ سواراً هو زوج ليلي (ابن قتيبة، ١٤٢٣هـ، ص ٤٤٠/١)، وربّما يفسّر هذا تدخّلها لصالحه. والرّاجح أنّ تدخّلها كان لأسباب عدّة، فقد كانت زوجاً لسوارٍ القشيريّ، وبعد فإنّ إغضاء الجعديّ لم ينل قوم سوارٍ فقط، بل تعدّاهم إلى بني عقيل قوم ليلي الأخيلية، وهذا ما أثار حفيظتها أكثر، ودفعها إلى دخول هذا العراك، الذي غُلبت في نهايته صراحةً على النابغة الجعديّ، وكان لكلٍ منهما قصيدة في هذه المهاجاة (المرزباني، ١٩٩٥، ص ٢٥)، والواضح من القصائد أنّها لم تُقل في مجلسٍ واحدٍ، وأنّ كلا الشاعرين كان يزيد فيها بحسب ما يجري. وتُجمّع أكثر الروايات على أنّ المهاجاة كانت بعد قصيدة الجعديّ التي ذكر فيها يومي رحرحان، ونقّض فيها فخر القشيريّين بإنقاذ الجعديّ (المرزباني، ١٩٩٥، ص ٢٥، والبغدادي، ١٤١٧، ص ٢١١/٧، والأندلسي، د. ت، ٢٨١/١، والعاملي، ١٣١٢، ص ٤٧٥)، فقالت ليلي (ليلي الأخيلية، د. ت، ص ١٠٣):

وَمَا كُنْتُ لَوْ فَارَقْتُ جُلَّ عَشِيرَةٍ
لَأَذْكَرَ فَعْبِي حَازِرٍ قَدْ تَمَلَّلَا^١

فهي تترى عليه دكر ما يؤخذ عليه، ولا يُحسب له، فكيف له أن ينكر فضل قشيرٍ عليه، وإن كان في معرض انتقاصٍ منهم، وهنا يحتدم الهجاء، وينال الجعديّ من ليلي الأخيلية، فأقذع، وشنّع، وذكّر ما ظنّ أنّه كفيلٌ بإخراستها وكفّ لسانها عنه، فقال (النابغة الجعدي، ١٩٩٨، ص ١٣٣ - ١٣٤):

أَلَا حَيِّبَا لَيْلَى وَقَوْلَا لَهَا هَلَا
دَعِيَ عَنْكَ تَهْجَاءُ الرِّجَالِ وَأَقْبَلِي
وَقَدْ أَكَلَتْ بَقْلًا وَحَيْمًا نَبَاتُهُ
وَكَيْفَ أَهَاجِي شَاعِرًا رُمُحُهُ اسْتُهُ
فَقَدْ رَكِبَتْ أَمْرًا أَعْرَّ مَحْجَلًا
عَلَى أَدْلَعِي يَمْلَأُ اسْتِكَ فَيْشَلَا
وَقَدْ نَكَحَتْ شَرَّ الْأَخَايِلِ أَخْيَلًا
حَضَيْبِ البَتَانِ لَا يَزَالُ مَكْحَلًا

وهو يشير إلى أنها أقحمت نفسها فيما ليس لها به قدرة، فكانت كمن أكل بقلًا ثقيلًا لا يسهل هضمه، ولا تُشسأغ نكهته، وإن أعجبها مظهره ولونه، وهو تمثيل لما وقعت فيه بهجائها الجعدي، وذكرها بعد ذلك بما تأنف منه الأذواق، وكان مما رماها به أن جعلها كالأنثى من الخيل، إذا أُريد للفعل أن ينزو عليها، فيقال لها: (هلا)، كي تستنك وتهدأ، وهو ما نقضته ليلي في ردّها عليه، إذ ردت بما يمكن أن يقال: إنّه القشة التي قصمت ظهره؛ فقالت (إلى الأخيلىة، د، ت، ص ١٠٢ - ١٠٣):

أَنَايغ لَمْ تَنْبُغْ وَلَمْ تَكْ أَوْلَا
أَنَايغِ إِنْ تَنْبُغْ بِلُؤْمِكَ لَا تَجِدْ
تُعِيرُنِي دَاءً بِأَمِّكَ مِثْلُهُ
وَكُنْتُ صُنْيًا بَيْنَ صَدِّينَ مَجْهَلَا
لِلُّؤْمِكِ إِلَّا وَسَطَ جَعْدَةَ مَجْعَلَا
وَأَيُّ حَصَانٍ لَا يُقَالُ لَهَا هَلَا^{١١}

فيعيرته بضالة شأنه، وأنه لا يكاد يذكر إذا ما عدّ الناس، وإن ذكر فذكره لا يتجاوز بني قومه من بني جعدة، فيشتتهر بلؤمه لا غير، ثم تتقض المعنى الذي أشرنا إليه في هجائه إيّاها، فهي ترى أن النزو في نساء قوميه، وأمّه، أمّا قولهم: (هلا)، فلا يقال إلا للنجيبة الحصان التي لم تعتد ذلك، وهو اتهام مبطن لنساء قوميه باعتيادهن ذلك؛ وهنا يظهر أنها قهرته، ونالت منه، فغلبت عليه (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١، وابن رشيق، ١٩٨١، ١٠٦/١، والأزهري، ٢٠٠١، (غلب)، والعاملي، ١٣١٢، ص ٤٧٥، والبغدادى، ١٩٩٧، ص ٢٤٣/٦).

ويؤكد هذه الغلبة هروب الجعدي منها، حتى وصل قتيبة بن مسلم الباهلي، وهي تطلبه، وكانت تحفه هناك لولا أن عاجلها الموت، وما يؤكد انخزال الجعدي عنها استعداء قوميه صاحب المدينة عليها لما رأوا ما غضت من شرفهم بقولها هذا. والملحوظ أن الهجاء بينهما لم يطل، ولم يستمر وقتاً طويلاً، كما أن ليلي الأخيلىة لم ترد على الجعدي بالمعاني نفسها، أو ما يقرب منها، ولم تتحط إلى ما انحط إليه، فاكثفت بالنهوين من شأنه، ووسمه بالضعة بين الناس، ثم نقضت ما وسماها به من الحيوانية، وأنها يقال لها: (هلا)، وردته إلى معنى تمدح لأجله.

٢- أوس بن مغراء القرعبي: يعود استعار نار الهجاء بين الجعدي وأوس بن مغراء القرعبي السعدي إلى حادثة كانت في عهد معاوية بن أبي سفيان، الذي أرسل بسر بن أرطاة القرشي إلى الحجاز ليقول شبيعة علي بن أبي طالب، وكان قد كفّ يده عن قيس، فلم يجعل له عليهم سلطاناً، فسار بسر حتى أتى الطائف، فقالت له تقيف: "ما لك علينا سلطان، نحن من قيس"، فسار حتى أتى همدان، وهم في جبل لهم يقال له: شيبام^{١١}، فتحصنت فيه همدان ثم نادوا: "يا بسر نحن همدان، وهذا شيبام"، فلم يلتفت إليهم، حتى إذا اغتروا ونزلوا إلى قراهم أعار عليهم قتل، وسبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام؛ ومرّ بحيّ من بني سعد قوم أوس بن مغراء نزول بين ظهري بني جعدة قوم الجعدي في فلج، وهو "موضع لبني جعدة بنجد"، فأغار بسر على الحي السعديين، فقتل منهم وأسر، فقال أوس بن مغراء في ذلك مخاطباً بني جعدة:

مُشْرِينَ تَرْعُونَ النَّجِيلَ وَقَدْ غَدَتْ
بِأَوْصَالٍ قَتْلَكُمْ كِلَابٌ مُزَاجِمٌ
فَقَالَ النَّابِغَةُ الجعدي يجيبه:

مَتَى أَكَلْتُ لِحُومَهُمْ كِلَابِي
أَكَلْتُ يَدَيْكَ مِنْ جَرَبٍ تَهَامِي

وهاج الشّر بين الشعارين (الأفغاني، ١٩٣٧، ص ٤٣٣، ٤٣٥)^{١٢}. ولا تتكلم المصادر على هذه المهاجاة كثيراً، كما لم تفعل من قبل في مهاجاة الجعدي مع ليلي وسوار، وربما كان السبب أن الهجاء لم يستمر مدةً طويلةً، والأكيد هنا أن القرعبي غلب على الجعدي، وذلك بلسان الجعدي نفسه؛ إذ قال ابن سلام: "حدّثني إبراهيم بن شهاب قال: حدّثنا الفضل بن الحباب قال: حدّثني أبو العزّاف قال: قال النَّابِغَةُ الجعدي: إني وأوس بن مغراء لنبندر بيتاً ما قلناه بعد، لو قاله أحدنا لقد غلب على صاحبه؛ وكانا يتهاجيان، ولم يكن أوس إلى النَّابِغَةَ في قريحة الشعر، وكان النَّابِغَةُ فوقه فقال أوس بن مغراء:

فَلَسْتُ بِعَافٍ عَنْ شَتِيمَةِ عَامِرٍ
تَرَى اللُّؤْمَ مَا عَاشُوا جَدِيدًا عَلَيْهِمْ
وَلَا حَابِسِي عَمَّا أَقُولُ وَعَيْدُهَا
مِنْ اللُّؤْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا

فَقَالَ النَّابِغَةُ: هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُ، وَعَلَّيْبُ النَّاسِ أَوْسًا عَلَيْهِ" (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١، وقدامة، ١٣٠٢، ص ٣٢، والمرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٦، وابن رشيقي، ١٩٨١، ص ١٧٥/٢، وابن العديم، د. ت، ص ٣٠٠٧/٦، والصفدي، ٢٠٠٠، ص ٢٥٤/٩). وهو يقصد البيت الثالث من هذه الأبيات، ولا يخفى ما في الأبيات كلها من تفرغ لقوم الجعدي، فقد وصل بهجائه إلى جده الأكبر، وألحق به ما هو كفيلاً بالغضب من شأنهم، والانحطاط بهم إلى أدنى دركات الخزي، فالشاعر لا يرغب بتهديد بني عامر ولا بوعيدهم، وهي استهانة بهم، ولا مبالاة بما يقولون، فاللؤم فيهم متجدد لا يتلى، ومؤكداً أن أبقى شيء من ثياب الإنسان الجديد منها، وما في عامر من اللؤم لا يتلى ما دامت جلودها عليها. ويبدو أن ما قاله أوس جاء على التابغة، وقطعه، وجعله يُقر بهزيمته، بل اعترف أنهما كانا يطمحان إلى بيت يكون قاطعاً للخصم، فكان أوس أسبق إليه. ونقل الأصفهاني رواية أخرى في تغليب القرعبي على الجعدي، وهذا نصها: "اجتمع التابغة الجعدي وأوس بن مغراء في المردي، فتناقرا وتهاجبا، وحضرهما العجاج والأخطل وكعب بن جعيل، فقال أوس:

لَمَّا رَأَتْ جَعْدَةَ مِنَّا وَرَدَا
وَلَوْ نَعَامًا فِي الْبِلَادِ رُبْدَا^{١٣}

فقال العجاج:

كُلُّ امْرِئٍ يَعْدُو بِمَا اسْتَعَدَّا

وقال الأخطل يُعِينُ أَوْسَ بْنَ مِغْرَاءَ، وَيَحْكُمُ لَهُ:

وَأَنِّي لِقَاضِي بَيْنَ جَعْدَةَ عَامِرٍ
أَبُو جَعْدَةَ الذَّنْبِ الْخَبِيثِ طَعَامُهُ
وَسَعْدِ قَضَاءٍ بَيْنَ الْحَقِّ فَيَصِلَا
وَعَوْفُ بَنُ كَعْبٍ أَكْرَمِ النَّاسِ أَوْلَا

وقال كعب بن جعيل:

إِنِّي لِقَاضِي قَضَاءٍ سَوْفَ يَنْبُعُهُ
فَضْلًا مِنَ الْقَوْلِ تَأْتُمُ الْقَضَاءُ بِهِ
مَنْ أَمَّ قَضَاءً وَلَمْ يَعْدِلْ إِلَى أَوْدٍ
وَلَا أَجُورُ وَلَا أُنْغِي عَلَى أَحَدٍ
كَأَنَّ بَنُو عَامِرٍ سَعْدًا وَشَاعِرَهَا
كَمَا تَتَالَى بَنُو عَبْسٍ بَنِي أَسَدٍ

وهكذا باء التابغة على فحولته بشر ما يبوء امرؤ إلى أهله، وفاز أوس بحكومة هؤلاء القضاة غير العادلين" (الأفغاني، ١٩٣٧، ص ٤٣٣، ٤٣٥). ولا يبدو في القصيدة ما يشير إلى انكسار التابغة، كما ظهر في الرواية الأولى من أنه اعترف بأبيات أوس قاطعاً له، أو ما حدث مع ليلي حين لم يرد عليها، وفر هارباً منها، ثم لا يستقيم أن يحكم بينهما كعب بن جعيل والأخطل والعجاج، ولثان منهما لجا في مهاجرة الجعدي، ثم لا يستقيم الحكم من وجه آخر؛ إذ لم يكن في الرواية رد الجعدي على أبيات أوس، ولكنها - إن صححت - لا تتسم بالإنصاف، الذي أشار الأصفهاني إلى غيابه عند القضاة الذين سمهم (غير العادلين). ومهما يكن من أمر فإن أوساً غلب على الجعدي، وأوس لم يكن إلى التابغة في قريحة الشعر، وكان التابغة فوقه (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١، والمرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٦)، كما كان غيره من الشعراء الذين غلبوا على الجعدي، مثل ليلي الأخيلية وكعب بن جعيل وسوار بن أوفى (القرطبي، ١٩٩٢، ص ١٥١٨/٤، وابن العديم، د. ت، ص ٣٠٠٦/٦)، ولا يهم بعد ذلك إذا كانت رواية الأصفهاني صحيحة أم من نسج الرواة، واختلافهم؛ فهي لا تغير من واقع الأمر شيئاً سوى ما تضيفه من صراع قد يكون.

٣- عقاب بن خالد العجلي: لا بد، قبل أن نذكر سبب الخصومة بين عقاب والجعدي، من الإشارة إلى المصادر التي لم تنكر لعقاب شعراً، ولا جاءت له بما يدل على هجائه الجعدي، وذكر كثير منهم أن إفحام الجعدي كان بكلام لا يشعر (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١، والمرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٦، وابن رشيقي، ١٩٨١، ص ١٠٦/١)، أي: لم يقل عقاب شعراً أبداً في خصومته مع الجعدي، وإنما كان يرد عليه بكلام أحمه به، وقطعه، وهو قريب مما كان من أمره مع سوار القشيرى وذكر المرزباني في موشحه سبب اشتعال المهاجرة، إن صححت التسمية، وفي الخبر تفصيل إفحام عقاب الجعدي، وكان المواجهة وقعت وانتهت في ساعتها، وكان الجعدي يبادر عقاباً بشعر، ويرد عليه عقاباً بكلام،

فأفحمه، وفي روايته أن: "التابغة قال لعقال بن خويلد العقيلي- وكان أجارَ بني وائل بنِ معنِ بنِ مالكِ بنِ أعصر، وكانوا قتلوا رجلاً من بني جعدة، وكانوا يطالبونهم بدمه- فحذّر التابغة عقالاً أن يصيبه في ظلمه ما أصاب كليب وائل في تعديه عليهم، وأن يقع بينهم ما وقع بين عبي وذيبيان في حربِ داحسٍ والغبراءِ من الشعر، فقال:

بِكَفَيْكَ، فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدِّمْ

أَبْلُغْ عَقَالاً أَنْ غَايَةَ دَاحِسٍ

فقال عقال: لا، بل أتقدّم يا أبا ليلي. فقال التابغة:

تُجِيرُ عَلَيْنَا وَإِنَّا فِي دِمَائِنَا

كَأَنَّكَ مِمَّا نَالَ أَشْيَاعُهَا عَم

فقال عقال: لا، بل على عمدٍ يا أبا ليلي. فقال التابغة:

كُلَيْبٌ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا

وَأَيْسَرُ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّحَ بِالدَّمِ

رَمَى ضُرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَغْنَةٍ

كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليمانيِّ المُسَهَّمِ

وَمَا عَلِمَ الرُّمْحُ الأَصَمُّ كُغُوبُهُ

بِنَزْوَةِ رَهْطِ الأَبْلُخِ المِثْلَمِ

فقال عقال: لكن است حامله تعلم، وقال يحيى في حديثه: لكن حامله يعلم؛ فغلب عليه عقال بهذا الكلام" (المرزباني، ١٩٩٥، ص ٧٧)١٠. ففي أبيات الجعدي ما يدل على تعقل في محاوره عقال، وأخذه بالحوار والإقناع، ولكن هيهات أن يُسلم الرجل من استجار به، فهي سببة تلحق بأولهم وآخرهم، ولا يزول أثرها ما دامت الأرض والسماء؛ فيحذره الجعدي أن يشعل داحساً جديدةً بينه وبين بني جعدة، فيقول:

بِكَفَيْكَ، فَاسْتَأْخِرْ لَهَا أَوْ تَقَدِّمْ

أَبْلُغْ عَقَالاً أَنْ غَايَةَ دَاحِسٍ

ولكن جواب عقال يأتي على غير ما يشتهي الجعدي، فيجيبه قائلاً: بل أتقدّم يا أبا ليلي؛ وهو رفض مبطن لمطلب الجعدي لا رغبة في الحرب، ولكن واقع الحياة يفرض ألا يستهان بالأمانة، ولا يتخلى عن المروءة، ولا ينكس أمام غريمه، وفي رده استهانةً بوعيد الجعدي؛ ويعود الجعدي ليطلب الطلب نفسه محتجاً بأن قومه ظلموا، وأن عقالاً يرفض تسليم المستجيرين كأنه لم ير ما فعلوه ببني جعدة، فيقول له:

كَأَنَّكَ مِمَّا نَالَ أَشْيَاعُهَا عَم

تُجِيرُ عَلَيْنَا وَإِنَّا فِي دِمَائِنَا

أي: كأنك لا تعلم ما جنوا واقتربوا، فما كان رد عقال عليه إلا أن قال: إنّه على عمدٍ يُجيرهم ولا يُسلمهم، فكأنه على علم بما فعلوا ولكنه المبدأ نفسه، أعراف وتقاليد تمنعه من أن يغدر بهم؛ فيعمد الجعدي إلى تهديد صريح لعقال، حين شبهه بكليب التغلبي، وأنه في امتناعه عن تسليم بني وائل لقوم الشعار، ككليب حين جار واعتدى وظلم واستبد، فلا يكن جزأوك كجزائه، ولست إليه ولا قريباً منه في الأنصار والأعوان، وليس كليب إليك ولا قريباً منك في الجرم الذي ارتكبت، وقد نال ما نال على يد جساس حين أنبتة برمح اخترق جسده، وهذا الرمح لا يدري بمكانة هذا الرجل، ولا يعرف إن كان في عليّة القوم، أم من سفليتهم، فمن باب أولى أن تكون أحق بالقتل منه، وأنت دونة مكانة، وفوقه عظم ذنب، فقال الجعدي:

وَأَيْسَرُ جُرْمًا مِنْكَ ضُرِّحَ بِالدَّمِ

كُلَيْبٌ لَعْمَرِي كَانَ أَكْثَرَ نَاصِرًا

كَحَاشِيَةِ البُرْدِ اليمانيِّ المُسَهَّمِ

رَمَى ضُرْعَ نَابٍ فَاسْتَمَرَ بِطَغْنَةٍ

بِنَزْوَةِ رَهْطِ الأَبْلُخِ المِثْلَمِ

وَمَا عَلِمَ الرُّمْحُ الأَصَمُّ كُغُوبُهُ

ففي كلام الجعدي تهديد ووعيد، فرد عقال بقوله: لكن است حامله تعلم؛ وبهذا الكلام أفرج الجعدي، ففي قول عقال تحدي واضح للتابغة؛ إذ إن جساساً يعلم ما لكليب من مكانة، وبرغم ذلك أقدم على قتله، والثأر منه لقضيته، وهذا الذي يعلمه جساس عن كليب تعلمه أنت عني، ولذا لن تقدم على ما أقدم عليه جساس، لو كان فيك ما فيه ما استأذنتني في تسليم موتوريك، وهذا ما غلب به عقال على الجعدي. يدل هذا الرّد على علم كل من الجعدي وعقال بما في الآخر من همّة وقوة ونية، ولا سيما الجعدي، ولولا ذلك ما استأذن الجعدي وقومه عقالاً في تسليم بني وائل، وهذا ما طمأن عقالاً إلى نكوصهم، وجبنهم عن فعل شيء، فكان رده -إن لم تكن ردوده كلها- مفتحاً للجعدي، وربما راهن الجعدي على تراجع عقال، لكنه لما ذكر فرق ما بينه وبين جساس في علم كل منهما مكانة غريمه، وإقدام جساس وإحجام الجعدي عرف أنه عالم بتردده وخوفه فنقهه عنه.

٤- كعب بن جعيل: ليس في المصادر ما يبيّن سبب الخصومة بين الرجلين، كما لا تبيّن هذه المصادر كيف غلب كعب على الجعدي صراحة، لكنها تذكر تهاجي الرجلين، وهي لا تقوم دليلاً قاطعاً على أن كعباً غلب بها؛ ونحن إذ نعدّم ما هجا به الجعدي كعب بن جعيل نجد ما مدحه

به (الأندلسي، ١٤٠٣، (عنية))^{١٦}، وربما كان ذلك في بدايات معرفة بعضهما ببعض، فقد يَلجُ الهجاء بعد المديح، وقد تستعر نارُ العداوة بعد التحالف والتصالح، وكم من شاعرٍ انقلب من مدحه إلى هجائه بعد أن خاب أمله فيمن مدح، أو رأى منه جفوةً. ونجدُ لعلاقتيهما أثرًا في إجماع التابغة عن التعدي على بني تغلب وشاعرهم الأخطل؛ لأنَّ كعبًا ينتسب إليهم أيضًا، وذلك يدلُّ على علاقةٍ وطيدةٍ، والغريب فيها أن تتحوَّل علاقة هجاءٍ، والأغرب ألا نجد من هجاء الجعدي لكعبٍ شيئًا، بل لا نكاد نجد مآ تهاجيا به إلا قول ابن جعيل في خصومة الجعدي وأوس بن مغراء، وتغليبه أوس بن مغراء، وذلك في قوله:

إني لقاظٍ قضاءٍ سوف يتبعه
فصلًا من القول تأتم القضاء به
نالث بنو عامرٍ سعدًا وشاعرها
من أم قُضدا ولم يغدل إلى أود
ولا أجور ولا أبغي على أحد
كما تتال بنو عيس بن أسد

وفيها من التهكم ما فيها، فقد مثل ما فعلته بنو عامر قوم الجعدي ببني سعد قوم أوس بن مغراء بما فعلته بنو عيس ببني أسد^{١٧}.
٥- الأخطل: وتحمل عبارة ابن سلام في وصف المهاجرة بين الأخطل والتابغة الجعدي "وهجاء الأخطل بأخرة" (الجمحي، د. ت، ص ١٢٥/١) دلالة واضحة على قلة ما تهاجيا به، وأنه ليس مما يُذكر، غير أن الجعدي نازع الأخطل الشعر، فغلبه الأخطل (ابن قتيبة، ١٤٢٣، ص ٢٨١/١)، وينبني على ذلك أنه لم تُعرف أسباب التهاجي بينهما، ولا يستفيض الحديث عن الشعر الذي قيل بينهما، سوى ما افتخر به الجعدي من قتل اثنين من قومه بعض الملوك غدرًا، وما قاله الأخطل في نقض شعره، حين جعل ذاب بنو جعدة الغدر فقط، وأنهم عاجزون عن غيره (الأندلسي، ١٤٠٣، (الأكلب)). ويذكر المعري في رسالة الصاهل والشاحج شيئًا عن تهاجي الأخطل وجريير، وفي القصة ما يشير إلى ما يمكن أن يكون مما غلب به الأخطل على الجعدي، ونصُّ القصة ما يأتي: "وزعم الرواة أن الأخطل لما بلغه قول جريير:

جارت مطلق الرهان عشيّة
روقًا شبيته وعمرك فان

قال: "أبدل والله مني التابغة الجعدي"، وذلك أنهما كانا تهاجيا والتابغة شيخًا، والأخطل شاب، فعيّره الأخطل مسنّه، قال:

لقد جارى أبو ليلى بقحم
ومنتكت عن التريب وان

فهذا من قولهم: لا تسخر من شيء فيحور بك" (المعري، ١٩٨٤، ص ٥٦٣)^{١٨}. وحقوى القصة واضح، وهو يشير إلى أن الله تار من الأخطل في هجائه الجعدي بهجاء جريير إياه، وليس مما فيه شك أن لببت الأخطل في الجعدي أثرًا كبيرًا حتى ظن الأخطل أن الله عاقبه عليه بببت جريير، وهذا ما يدفعنا إلى الظن أن بيت الأخطل كان ما غلب به على الجعدي، وإن لم ينص على ذلك صراحةً.

الخاتمة

يظهر أن الجعدي لم يكن مغلبًا على أيدي من ذكرتهم المصادر كلهم، فإن كانت هزيمته محققة ففي مخصصته ليلي الأخيلية، وقد فر منها هاربًا، وفي مخصصته أوس بن مغراء، وقد اعترف بببت كائنًا قاطعًا له، وفي مخصصته عقال بن خالد العقيلي، الذي أحمه بكلام لا بشعر؛ أما فيما يخص سوارًا زوج ليلي فليس هناك ما يدعو إلى تغليبه عليه، بل ربما كانت الغلبة فيه للجعدي، ولا سيما عندما تنتصر له ليلي، فتدخل في المهاجرة بينهما، وكذلك كعب بن جعيل، فليس ما غلب به سوى حكمه في الخصومة بين الجعدي وأوس بن مغراء، حين حكّم لأوس عليه، وهذا لا يعني بأي حال أنه غلب منه، وكذا ما كان مع الأخطل، فهو الذي أقر بالنصر لا غيره، حين جعل ما قاله جريير فيه انتقامًا للجعدي حين قطع الأخطل بببت شعره قاله فيه. وأما فيما يخص أسباب تلك الخصومات فلا نجد فيها ما كان الجعدي محققًا فيه، فقد نقض على سوار وبني قشير فخرهم بأنهم أنقذوا الجعدي من الموت، وهو حق لهم، ولا سيما عندما نراه ينقض مفاخرهم، ويتعدى بالبديء من القول على ليلي الأخيلية، وكذلك في مهاجته أوس بن مغراء القريعي، حين تخلف قومه الجعديون عن حماية من استجار بهم من بني سعد قوم أوس، ومثل ذلك طلبه من استجاروا بعقال بن خالد العقيلي، وكان له ثار فيهم، متجاهلاً الأعراف التي تمنع قوم عقال من تسليمهم، كما تمنع قومه من الغدر بالسعديين قوم أوس بن مغراء وتسليمهم لبشر بن أرطاة رجل معاوية إلى الحجاز، وقريب من ذلك سبب مهاجته الأخطل حين رآه يفتخر بغدر اثنين من قومه بمن وصفه بأنه ملك، وقتلها إياه، فنقض عليه الأخطل فخره بهذا الغدر.

تشير أسباب الخصومات إلى أن الغلبة التي كانت لغرمائه مستحقة، وأن الجعدي كان يدافع عن قضية خاسرة، ولا أدل على ذلك من هربه أمام ليلي، وصمته أمام كلام عقال بن خالد، فضلًا عن أسباب الخصومة التي كانت في صالحهم، حتى عدّه النقاد مغلبًا بشهادة من غلبوه، بلا استناد إلى اعترافه، أو تلميح إلى ذلك، ثم غدا مغلبًا بالكلام لا بالشعر في إحدى مخصصاته، ثم لا نعرف أحيانًا بم غلب عليه

مخاصمته؛ فكأن ما كان بين الجعدي ومن غلبوا عليه داعياً إلى أن يُغلب عليه كل من هاجاه، حتى صار من يُحكّمون بين الجعدي ومخاصميه مغلبين عليه إن حكّموا للحصم، وربما كان هذا داعياً إلى ألا يُصار إلى تغليبه في أي خصومة يدخلها، أو أي مهاجاة تشتعل بينه وبين أحد، فطارت أخبار هذه الهزائم حتى صار علماً لها. ولا يخفى أن الشاعر الحاذق قد لا يعترف بالأسباب، ولا ينظر إلى البدايات، ولا يُعَبِّأ بما كان في أول الخصومة، فلا يكون ذلك سبباً في هزيمته، بل يصنع النُّصرَ على خصومه ولو كان الباطل حليفه، ويقدر عليهم ولو تكلموا بالحق، ولم كان الشاعر لسان قومِه إن لم يكن كذلك؟! وهو ما عجز عنه التابغة الجعدي أمام هؤلاء، برغم ضعفهم أمامه شاعريّةً وقريحّةً.

المصادر والمراجع

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين (٦٣٠هـ). (١٩٨٩م). أشد الغابة. د. ط. بيروت: دار الفكر.
- الأخطل. (١٩٩٤م). ديوان الأخطل، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. ط٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الغنّجاني، أبو محمد الأعرابي (بعد ٤٣٠هـ). (د. ت). فرحة الأديب في الرد على ابن السيرافي في شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي سلطاني. د. ط. القاهرة: دار النبراس.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك (٢١٦هـ). (١٩٨٠م). فحولة الشعراء، تحقيق: المستشرق ش. توري، قدم لها: صلاح الدين المنجد. ط٢. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- الأفغاني، سعيد بن محمد بن أحمد (١٤١٧هـ). (١٩٣٧م). أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام. دمشق: طبع بنفقة المكتبة الهاشمية.
- الأندلسي، ابن سعيد. (د. ت). نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، تحقيق: نصرت عبد الرحمن. (د. ط). عمان: مكتبة الأقصى.
- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (٤٨٧هـ). (د. ت). سمط اللآلي في شرح أمالي القالي [هو كتاب شرح أمالي القالي/أبي عبيد البكري؛ نسخه وصححه وحقق ما فيه وخرجه وأضاف إليه عبد العزيز الميمني]. نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني. (د. ط). بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأندلسي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري (٤٨٧هـ). (١٤٠٣هـ). معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. ط٣. بيروت: عالم الكتب.
- البغدادي، بهاء الدين محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، (٥٦٢هـ). (١٤١٧هـ). التذكرة الحمدونيّة. ط١. بيروت: دار صادر.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (١٠٩٣هـ). (١٩٩٧م). خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٤. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- جرير. (د. ت). ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه. ط٣. القاهرة: دار المعارف.
- الجمحي، محمد بن سلّام بن عبيد الله، أبو عبد الله (٢٣٢هـ). (د. ت). طبقات فحول الشعراء، تحقيق: محمود محمد شاکر. د. ط. جدة: دار المدني.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (٣٢١هـ). (١٩٩١م). الاشتقاق، تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط١. بيروت: دار الجيل.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قانماز (٧٤٨هـ). (١٩٨٥م). سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط. ط٣. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن رشيّق، أبو علي الحسن القيرواني الأزدي (٤٦٣هـ). (١٩٨١م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٥. بيروت: دار الجيل.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، (١٢٠٥هـ). (د. ت). تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين. د. ط. القاهرة: دار الهداية.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الدمشقي (١٣٩٦هـ). (٢٠٠٢م). الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين.

- أبو الشيخ الأصبهاني، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري (٣٦٩هـ). (١٩٩٢م). طبقات المحدثين بأصبهان والواردين عليها، تحقيق: عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (٧٦٤هـ). (٢٠٠٠م). الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. د. ط، بيروت: دار إحياء التراث.
- العاملي، زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز (١٣٣٢هـ). (١٣١٢هـ). الدر المنثور في طبقات ربات الخدور. ط١. مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (٣٢٨هـ). (١٤٠٤هـ). العقد الفريد. د. ط. بيروت: دار الكتب العلمية.
- أبو عبدة، معمر بن المثنى التيمي (٢٠٩هـ). (د. ت). كتاب الديباج، تحقيق: عبد الله الجربوع وعبد الرحمن العثيمين. د. ط. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين (٦٦٠هـ). (د. ت)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار. د. ط. دمشق: دار الفكر.
- العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (٨٥٢هـ). (١٤١٥هـ). الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- علي، جواد (١٤٠٨هـ). (٢٠٠١م). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. ط٤. لبنان: دار الساقية.
- الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ). (١٩٨٧م). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط٤. بيروت: دار العلم للملايين.
- ابن قانع، أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (٣٥١هـ). (١٤١٨هـ). معجم الصحابة، تحقيق: صلاح بن سالم المصراطي. ط١. المدينة المنورة: مكتبة الغرباء الأثرية.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ). (١٤٢٣هـ). الشعر والشعراء. د. ط، القاهرة: دار الحديث.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ). (١٩٤٩م). المعاني الكبير في أبيات المعاني، تحقيق: المستشرق سالم الكرنكوي، وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني. د. ط. حيدر آباد الدكن بالهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ). (د. ت). أدب الكاتب (أدب الكتاب)، تحقيق: محمد الدالي. د. ط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
- قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (٣٣٧هـ). (١٣٠٢هـ). نقد الشعر. ط١. قسطنطينية: مطبعة الجوائب.
- القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري (٤٦٣هـ). (١٩٩٢م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد الجاوي. ط١. بيروت: دار الجبل.
- القيسي، أبو علي الحسن بن عبد الله (٦٦هـ). (١٩٨٧م). إيضاح شواهد الإيضاح، تحقيق: محمد بن حمود الدعجاني. ط١. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ليلى الأخيلية. (د. ت). ديوان ليلى الأخيلية، تحقيق: خليل العطية وجيل العطية. د. ط. بغداد: دار الجمهورية، برعاية وزارة الثقافة والإرشاد.
- المرزباني، أبو عبد الله بن محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ). (١٩٩٥م). الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.
- المرزباني، أبو عبيد الله بن محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ). (١٩٩٥م). أشعار النساء، تحقيق: سامي مكي العاني وهلال ناجي. ط١. بيروت: دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- المرزباني، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران (٣٨٤هـ). (١٩٨٢م). معجم الشعراء، تصحيح وتعليق: ف. كركو. ط٢، بيروت: مكتبة القدس ودار الكتب العلمية.

- المعافري، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، أبو محمد، جمال الدين (٢١٣هـ). (١٣٤٧هـ). التيجان في ملوك جُمَيْر يرويه عن أسد بن موسى عن أبي إدريس ابن سنان عن جده لأمه وهب بن منبه رضي الله عنهم، تحقيق: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية. ط١. صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية.
- المعري، أبو العلاء (٤٤٩هـ). (١٩٨٤م). رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي. ط٢. مصر: دار المعارف.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (٧١١هـ). (١٤١٤هـ). لسان العرب. ط٣. بيروت: دار صادر.
- النابغة الجعدي. (١٩٩٨م). ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد. ط١. بيروت: دار صادر.
- النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجبري (٣٩٠هـ). (٢٠٠٥م). المجلس الصالح الكافي والأنيب الناصح الشافي، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ). (٢٠٠١م). تهذيب اللُغة، تحقيق: محمد عوض مرعب. ط١. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ). (١٩٩٥م). معجم البلدان. ط٢. بيروت: دار صادر.

هوامش البحث

- ١ - واستأثرتُ بالصاح لأنه جمع معظم صيغ هذا المصطلح.
- ٢ - وعبارته: "ويقال: شاعرٌ مغلَّبٌ، إذا غلبه من هو دونه".
- ٣ - وبواف: بدرهمٍ وثلاثٍ. المطرفُ: ثوبٌ أو رداءٌ من خزٍ مربَّعٍ ذو أعلامٍ.
- ٤ - سيأتي تفصيل ذلك في موضعه.
- ٥ - وناشدُ رجله: هو حياضُ بن قيسِ بن الأعورِ، من بني قُشَيْرِ بنِ كعبِ القُشَيْرِيِّ، شهذ اليرموك، فقتلَ من العلوجِ خلقًا كثيرًا، وقُطِعَتْ رجلُهُ وهو لا يشعرُ، ثمَّ جعلَ ينشدُها، وفي ذلك يخاطبُ فرسه يومَ اليرموك:
- | | | | | | | | |
|----------|---------------|----------|--------------|----------|-------------|---------|-----------|
| أَقْدِمُ | حَدَامُ | إِنَّهَا | الْأَسَاوِرُ | وَلَا | تَعُرَّنَكَ | رَجُلٌ | نَادِرُهُ |
| أَنَا | القُشَيْرِيُّ | أَخُو | المُهَاجِرِ | أَضْرِبُ | بِالسَّيْفِ | رُؤُوسَ | الكَافِرِ |
- والَّذي أَسَرَ حَاجِبًا ذُو الرُّقِيْبَةِ القُشَيْرِيُّ، واسمُهُ مالِكُ بنُ عامِرِ بنِ سَلَمَةَ بنِ قُشَيْرِ بنِ كعبِ ابنِ ربيعةَ بنِ عامِرِ بنِ صعصعةَ، أَسَرَ حَاجِبَ بنِ زُرارةَ بنِ عدسٍ يومَ جَبَلَةَ.
- ٦ - ابن الحيا: سَوَارٌ بنُ أوفى، والحيأ أمه.
- ٧ - رحران: اسمُ جبلٍ قريبٍ من عكاظَ خلفَ عرفاتٍ، وكانَ فيه يومانٍ للعربِ، أشهرُهُما الثَّانِي، وهو يومُ لبني عامِرِ بنِ صعصعةَ على بني تميمٍ، أُسِرَ فيه معبدُ بنُ زُرارةَ أخو حَاجِبِ بنِ زُرارةَ رئيسِ بني تميمٍ، وكانَ سببُهُ أنَّ الحارثَ بنَ ظالمٍ قتلَ خالدَ بنَ جعفرٍ، ثمَّ أتى بني فزارةَ بنِ عدسٍ، فاستجارَهُم، فأجازَهُ معبدُ بنُ زُرارةَ، فخرجَ الأحوصُ بنُ جعفرٍ ثائرًا بأخيه خالدٍ، فالتقوا بِرَحْرَحَانَ، فهَزَمَ بنو تميمٍ؛ ينظُرُ: ياقوت، ١٩٩٥، ٣/٣٦ (رحران). القَعْبُ: القَدَحُ الصَّخْمُ. والثَّانِي منهما متنازَعٌ فيه؛ ينظُرُ: المعافري، ١٣٤٧، ص ٣١٧، والأصمعي، ١٩٨٠، ص ١١، وابن قتيبة، ١٩٤٩، ٢/١٠٢٦، وابن عبد ربه، ١٤٠٤، ص ٢٩٠/١.
- ٨ - القَعْبُ: القَدَحُ الصَّخْمُ. الحازرُ: الحامض. تتَمَلَّا: صاروا كتلاً من الرِّغوة.
- ٩ - الأذلعي: الصَّخْمُ من الأيورِ الطَّويلِ. الفَيْشَلُ: جمعُ الفَيْشَلَةِ، وهي رأسُ الذَّكَرِ. والأخايلُ: قومُها بنو الأخيَلِ.
- ١٠ - الصَّنِيَّ تصغيرُ الصِّنو، وهو جِسِّي صغيرٌ لا يَرُدُّه أحدٌ، ولا يؤنِّه له. والصَّدُّ: الجبلُ. وروايةُ الشَّطْرِ الثَّانِي من البيتِ الثَّالثِ في الدِّيوانِ: "وأَيُّ نجيبٍ لا يقالُ له هلا". والمثبَّتُ من ابن قتيبة، د. ت، ص ٤٢١، والأزهري، ٢٠٠١، ص ٢٣٨/٥، وغيرهما.
- ١١ - شِبامٌ: جبلٌ عظيمٌ فيه شجرٌ وعيونٌ، وشُرِبُ صنعاءَ منه، وبينها وبينه يومٌ ولبلةٌ.

١٢ - بيت الجعدي في ديوانه: ١٥٤. والمُشْرُونَ: الذين ينشرون دوابهم للرعي، من الفعل أشر: أظهر ونشر. والتَّجِيلُ: خير ما ملح وأمر من النَّبَاتِ، وألِينُهُ على السَّائِمَةِ.

١٣ - الورد: الجيش. والرُّبْدُ: جمع الرِّداءِ، وهي النَّعَامَةُ المختلطة السَّوادِ.

١٤ - أبيات الأخطل في ديوانه: ٢٩٥. الأود: الاعوجاج.

١٥ - الأبيات في ديوانه: ١٦٥. الجرم: الذنب. ضَرَجَ: نُطِحَ. المسهَّم: المخطَّط. الأصمُّ: رهط الرجل: قومه وقبيلته. الأبلخ: المنكبر.

١٦ - وممَّا مدحه به قوله:

أتاني ما يقول بنو جُعيلٍ بوادٍ من عَنِيَّةٍ أو عيانٍ

أتاني نصرُهُم وهم بعيدٌ بلادُهُم بلادُ الخيزرانِ

(التابغة، ١٩٩٨، ص ١٨١ - ١٨٢).

١٧ - لم أقف على ما قصده الشاعر بقوله هذا، ويظهر أنه تهكم؛ إذ لم يسُدْ بنو عامرٍ سعدًا، كما لم تسُدْ عبسُ بني أسد.

١٨ - بيت جرير في ديوانه: ١٠١٣؛ وروايته:

جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الجِراءِ بِنابِهِ رَوْقٌ شَبِيبَتُهُ وَعُمْرُكَ فَا نِ

والمَطَّلِعُ: الضَّابِطُ للأمر القويِّ عليه؛ وبيت الأخطل في ديوانه: ٣٤٥؛ وجارى: نأفَسَ. أبو ليلى: النَّابِغَةُ الجعدي. القحْمُ: الفرسُ الطَّاعنةُ

في السِّنِّ. المَنكَتُ: المَخْذُولُ. الواني: الضَّعيفُ.